

اتجاهات البحث في المعنى

طبيعة الدلالة اللغوية والعلاقات الدلالية

الكلمة والظواهر الدلالية :

- نجد أول إشارة إلى علاقة الكلمات بمعانيها لدى سيبويه الذي يقول تحت هذا العنوان " هذا باب اللفظ للمعاني " : اعلم أن كلامهم (العرب) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .
- فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو . جلس ، وذهب .
- واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو . ذهب ، وانطلق .
- واتفاق اللفظين والمعنى مختلف ، قولك : وجدت عليه من المَوْجِدَةِ ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة .
- ينقل قطرب - تلميذ سيبويه - عنه هذا التقسيم في كتابه " الأضداد " .
- ويأتي بعدهما المبرد ناسجاً على منوالهما .
- لقد فطن سيبويه و تلميذاه قطرب والمبرد إلى أن الأصل في الألفاظ أن يختص كل لفظ بمعني محدد يكون بمثابة العلامة الصوتية التي إذا سمعها متكلمو اللغة استدعت في أذهانهم دلالة محددة اصطلاحوا عليها .

- كما فطنوا إلى أن متكلمي اللغة قد يستعملون أكثر من لفظ للدلالة على أمر واحد ، وهذا هو الترادف .
- وقد يستعمل متكلمو اللغة لفظًا واحدًا للدلالة على أمرين مختلفين أو أكثر ، وهذا هو المشترك اللفظي أو التضاد .
- لقد لاحظ اللسانيون المسلمون الذين كانوا يقرءون آيات القرآن ، ويقفون على ألفاظها من ناحية ، ويهتمون بجمع ألفاظ اللغة في معاجم متنوعة من ناحية ثانية هذه الظواهر اللغوية ، فصنفوا مؤلفات لرصدها في اللغة بصفة عامة ، وفي القرآن الكريم بصفة خاصة ، واختلفت وجهات نظرهم بالنسبة لهذه الظواهر ، فنجد بعض القدماء يُنكر وجود هذه الظواهر في اللغة أو القرآن الكريم ، على حين يؤكد بعضهم الآخر وجودها .

الترادف :

- تعريفه :
- يعني مصطلح الترادف الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد .
- والمصطلح مشتق من الردف ، وهو ما تبع الشيء ، فكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه .
- نجد ابن فارس ت ٣٩٥ هـ أول من استعمل مصطلح الترادف فيما نعلم .
- صنف القدماء مؤلفات في الترادف ، وإن لم يستعملوا هذا المصطلح . ومن هذه المصنفات .
- ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه . للأصمعي ت ٢١٧ .
- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى . للرماني ت ٣٨٤ .
- الألفاظ المترادفة في المعاني المؤتلفة . ابن مالك ت ٦٧٢ .
- الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف . للفيروزآبادي ت ٨١٧ .
- كما نجد كتب المعاني أو الألفاظ تهتم بهذه الظاهرة مثل : كتاب " الألفاظ " لابن السكيت ٢٤٤ .
- وكتاب " الألفاظ الكتابية " للهمذاني ت ٣٢٧ .
- وكتاب " جواهر الألفاظ " لقدامة بن جعفر ت ٣٣٧ .
- وكتاب "متخير الألفاظ " لابن فارس ت ٣٩٥ .

- كما نجد أبا هلال العسكري ت ٤٠٠ يصنف كتابه " الفروق في اللغة " لإثبات الفروق بين الألفاظ المترادفة .
- أسباب الترادف :
- إذا نظرنا إلى المرادفات الممكنة ، فسنجد الاختلافات بينهما تعود إلى ما يأتي :
- ١. أن بعض الكلمات المترادفة تعود إلى لهجات مختلفة ، كما نجد في العربية في لفظي الأسد وسرحان بمعنى الأسد في لهجة هذيل .
- ٢. الفرق الأسلوبي في استعمال الكلمات المترادفة في كلمة رقبة ، واستعمال كلمة جيد في الشعر في سياق وصف جمال المرأة .
- ٣. الارتباط الاقتراني أو المصاحبة اللغوية للكلمات ، حيث ترد بعض الكلمات مرتبطة بكلمات معينة دون غيرها ، فكلمة "زنخ" تأتي مع كلمات مثل : لحم ، وزبد . وكلمة فاسد تأتي مع كلمة مثل : بيض وعقل .

- وما ذهب إليه اللسانيون المحدثون أشار إليه القدماء . يذكر السيوطي في كتابه " المزهر " أن وقوع الترادف في اللغة يعود للسببين :

- أحدهما : أن يكون من واضعين ، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعان .

- الثاني : أن يكون من واضع واحد ، وهو الأقل ، ويعود ذلك إلى أنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به . وقد كان بعض الأذكىاء في الزمن السالف ألثغ ، فلم يُحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء ، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك . يعني بذلك واصل بن عطاء ، أحد خطباء المعتزلة الذي كان لديه لثغة في النطق بصوت الراء .

• يرى د. كريم حسام الدين أن تحديد الترادف يخضع إلى أمور منها :

١. تحديد البيئة اللغوية زمانًا ومكانًا ؛ أي يجب أن نحدد ما إذا كانت الكلمات تنتمي إلى لهجة واحدة ، وفترة زمنية واحدة أم لا .

٢. تحديد المستوى الذي تدور فيه الكلمات ؛ أي يجب أن تحدد المستوى اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمات ، الفصيح منه أو العامي ، والراقي أو المبتذل .

٣. تحديد سياق الكلام والظروف ، حيث نجد أن الكلمة الواحدة يتميز معناها من سياق إلى آخر ، باختلاف حال المتكلمين والسامعين ، كما نجد في الفعلين " وصل " و " جاء " فيمكن أن نقول : وصل محمد والقطار والخطاب ، ولا يمكن أن نقول : وصل الربيع .

• الخلاصة :

• يمكن أن نقول : إنه في ظل نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقًا كاملاً . ومن الممكن أن تتقارب الدلالات، وتكون الألفاظ المترادفة بهذا المعنى ذات دلالات متقاربة .

• اللغة بطبيعتها تُلقى بظلالها على الكلمات في مثل : نظر ولحظ و رنا ، وأحب وعشق وهوى .

• والألفاظ بهذه الصورة أداة في يد الكاتب والمتكلم يعبر بها كما يشاء . ، وأداة في يد المتعلم ، فقد ينسى كلمة ، ويتذكر أخرى ، وإن كانت تمثل عبئًا عليه في مراحل تعليمه الأولى .

المشترك اللفظي :

تعريفه :

- إن المشترك اللفظي يعني كلمة واحدة تدل على أكثر من معنى . مثال ذلك : لفظ " العين " الذي يعني الجارحة التي يبصر بها الإنسان ، ونبع الماء ، والجاسوس ، والشئ نفسه ...إلخ .
- لقد فطن اللسانيون القدماء لهذه الظاهرة ، ومنهم ابن فارس الذي أشار إليها في كتابه "الصاحبي" تحت عنوان " باب أجناس الكلام في الاتفاق والاختلاف "
- صنف القدماء من اللغويين والنحاة وعلماء الأصول مؤلفات تعالج هذه الظاهرة اللغوية في اللغة العربية بصفة عامة ، وفي القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ، وقد حملت بعض هذه المؤلفات مصطلح " الوجوه والنظائر " أو " الأشباه والنظائر " .
- ويعني كل من المصطلحين ما يأتي :
- **الوجوه** : الألفاظ المشتركة التي تُستعمل في معانٍ متعددة كلفظ " الخال " الذي يُطلق على شقيق الأم ، وعلى الشامة في الوجه .
- **النظائر** : الألفاظ المتواطئة التي تستعمل بمعنى واحد مثل كريم ، جواد . يقول الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " (فالوجوه اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدة معانٍ كلفظ الهدى له سبعة عشر معنى في القرآن .

- يظهر لنا أن مصطلح الوجوه والنظائر يشير إلى المعاني المتعددة للفظ واحد في مقابل الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد . فالوجوه الألفاظ المشتركة ، والنظائر الألفاظ المترادفة .
- لقد كان القرآن الكريم الباعث الأول لتصنيف هذه المؤلفات التي وصلت إلينا ، وتحمل هذا المصطلح ، ونذكر منها :
- ١. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم . لمقاتل بن سليمان ت ١٥٠ هـ . ويعد هذا الكتاب من أوائل ما وصل إلينا من كتب الوجوه والنظائر .
- ٢. الوجوه والنظائر في القرآن : للدامغاني ت ٤٧٨ هـ .
- ٣. نزهة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر : لابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ . ويعد كتاب ابن الجوزي أوسع كتب الوجوه والنظائر ، إلى جانب الترتيب المعجمي للكتاب ، والترتيب الداخلي على الحرف الواحد ، كما رتبها بحسب عدد الوجوه في الكلمة من حيث القلة والكثرة .
- ٤. كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر : لابن العماد ت ٨٨٧ هـ .
- ٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن : للسيوطي ت ٩١١ هـ . يبدأ السيوطي كتابه بذكر وجوه إعجاز القرآن حتى يصل إلى الوجه الخامس والثلاثين في مشترك القرآن الذي جمع فيه ألفاظاً من القرآن ، ورتبها على حسب الهجاء ، وفسرها ، وأحاط بمعانيها ، وأزال غموضها ، ورجع في ذلك إلى كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها .
- كما نجد السيوطي لا يقتصر على تفسير الألفاظ تفسيراً لغوياً فقط ، بل نجده يفسر الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ تفسيراً يوضح حالها ويزيل إبهامها .

أسباب حدوث المشترك اللفظي :

- يرجع اللسانيون المحدثون وجود المشترك اللفظي في اللغة إلى أسباب داخلية وخارجية .
- تتمثل الأولى : في التغير الصوتي ، والتغير الدلالي للكلمات ، وانتقال الكلمات من المعنى الحقيقي للمعنى المجازي .
- يمثل التغير الصوتي الإبدال الذي يعتبر عاملاً من عوامل تكوين المشترك ، كما نرى في الكلمتين " حنك " و " حلك " فإن لهما معنيين مختلفين ، ولكن العرب استعملتهما بمعنى واحد هو السواد . فعن طريق إبدال اللام نونا طابقت الكلمة الثانية الكلمة الأولى في النطق ، وصار عندنا كلمة واحدة بمعنيين .
- أما التغير الدلالي فيمكن أن نمثل له بكلمة " ماتم " التي كانت تعني اجتماع الرجال و النساء معاً في أي مناسبة ، ثم أصبحت تعني اجتماعهم في المناسبة الحزينة فقط .
- وانتقال الكلمات من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، كما نرى في كلمة " يد " الفأس . أي مقبضها ، يد الرجل بمعنى أعوانه .
- وتتمثل الثانية في انتقال الكلمات من لغة أو لهجة إلى أخرى ، كما نجد في العربية كلمة " سرحان " التي تعني في لهجة قبيلة هذيل الأسد ، وعند غيرهم الذئب ، والهجرس عند تميم يعني الثعلب ، عند غيرهم يعني القرد .
- ومن الأسباب الخارجية أيضاً هجر بعض الكلمات ، فقد يهجر المتكلمون باللغة بعض الكلمات إلى كلمات أخرى ، مثل كلمة كنيف في العربية التي كانت تعني السائر أو الحظيرة من الشجر ، فلما استعملت بالمعنى المعروف هُجِر المعنى الأول .

التضاد :

- يعني مصطلح التضاد تضاد المعنى ؛ أي استخدام لفظ واحد بمعنيين متضادين . ونجد هذه الظاهرة اللغوية معروفة في كثير من اللغات مثل الإنجليزية والفرنسية . وكلمة "جَوْن" في العربية بمعنى أبيض وأسود . وكلمة جَل بمعنى عظيم ويسير . وتسمى الكلمات التي تحمل تضاد المعنى بالأضداد، وقد أطلق اللسانيون العرب مصطلح الأضداد على الكلمات التي تؤدي معنيين متضادين بلفظ واحد ، والأضداد جمع ضد.
- يذكر السيوطي أن ابن درستويه ت ٣٤٧هـ ممن ذهب إلى إنكار الأضداد ؛ لأنه يعد ذلك نقصاً في لغة العرب .
- يعد كتاب "الأضداد" لقطرب ٢٠٦هـ أول مصنف وصل إلينا من المؤلفات التي اهتمت بظاهرة التضاد ، وقد جمع في كتابه أكثر من مائتي لفظ من الألفاظ المتضادة مستشهداً بآيات القرآن الكريم والأبيات الشعرية ، ومؤكداً وجود الأضداد في العربية .
- كتاب الأضداد : السجستاني ت ٢٥٥هـ . ونجده يستشهد مثل قطرب بآيات القرآن الكريم والشعر العربي القديم ، وعرض للأضداد في كتابه حسبما اتفق دون ترتيب هجائي .
- كتاب الأضداد : لابن الأنباري ت ٣٢٨هـ . ويعد كتاب ابن الأنباري من أشمل كتب الأضداد وأوفاهها .
- كتاب الأضداد : للصاغاني ت ٦٥٠ هـ . ولم يأت بجديد لم يُسبق إليه.

أسباب حدوث التضاد :

- نجد اللسانيين القدماء يشيرون إلى سبب وجود الأضداد في العربية ، فنجد ابن الأنباري يُرجع الأضداد إلى **اختلاف اللهجة**.
- كما يرى بعض اللسانيين المعاصرين أن سبب وجود الأضداد في العربية يعود إلى **اقتراض العرب بعض الألفاظ من اللغات المجاورة لهم** ، ولما كان معناها الأصلي قد تختلف إحياءاته مما يؤدي إلى التضاد في العربية . ومثال ذلك لفظ " جلل " الذي يرى المستشرق الألماني جيز Giese أن العربية اقترضته من العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج ، ولما كان الشيء المدحرج ثقيلًا أحيانًا ، وخفيفًا أحيانًا ، فقد اعتمدت العربية على هذين الإحياءين المتضادين للكلمة الواحدة وأعطتها معنيين متضادين هما عظيم ويسير .
- كما نجد بعض اللسانيين القدماء يرى أن **اللفظ إذا وقع على معنيين متضادين فالأصل واحد** ، ثم يتفرع إلى معنيين على جهة الاتساع من ذلك : **الصريم** بمعنى الليل والنهار ؛ لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد هو القطع ، وكذلك **السُدْفَة** الظلمة والضوء ، سُميا بذلك ؛ لأن أصل السُدْفَة الستر ، فكأن النهار إذا أقبل ستر ضوءه ظلمة الليل ، وكأن الليل إذا أقبل سترت ظلّمته ضوء النهار .

- يعتبر الجانب الاجتماعي للغة من أسباب وجود الأضداد ، ويتمثل هذا في
- التفاؤل بإطلاق اسم القافلة على الجماعة المسافرة ، والسليم بمعنى المريض أو اللديغ .
- والتأدب بإطلاق اسم البصير على الأعمى ، والمولى على العبد ، وهو يعني في اللغة السيد ، وتسمية الأسود بالأبيض . والعرب تكني الأسود بأبي البيضاء .
- والتهكم بإطلاق كلمة العاقل على المجنون ، والفصيح على المتعثر في كلامه ، وقولهم للجاهل يا عالم .